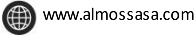
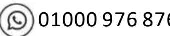
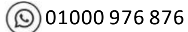
صابرة اسمها شام

صابرة اسمها شام	رواية
الكاتب	د. محمد محمود أسعد
تصميم الغلاف	مصطفى النجار
التدقيق اللغوي	إسراء جمال
التنسيق والإخراج	المكتب الفني بالمؤسسة
رقم الإيداع	2022-30615
الترقيم الدولي	978-977-6922-14-4



نصنع الفارق بالحروف

ونطارد حلمك كأننا نراه

contact@almossasa.com — 01000 976 876 — www.almossasa.com

ميامي-سيدي بشر- الإسكندرية — المدير العام: مصطفى النجار — المؤسسة للنشر والتوزيع

د. محمد محمود أسعد



صابرة اسمها شام

رواية



إهداءٌ

إلى كل صابرة عايشت النزوح بما فيه ولم تنحنِ أبدًا

إلى كل صابرة تتنظر فرجًا كريمًا من عند الله

إلى كل من يسعى إلى جبر خواطر المُتعبين

إلى كل من يرسم ابتسامة أمل ويزرع خيرًا لمن حوله،

أهدي هذا العمل.

أخوكم محمد

إضاءة

بعيدًا عن السياسة والخوض في بحورها والحديث عن مراميها، وقريبًا من الإنسانية وفضائِلِها في تفعيل القلوب الرحيمة، تأتي رواية "صابرة اسمها شام" رصدًا مختزلًا للحياة العامة في الشمال السوري بشكلٍ عام وحياة النزوح التي عاشتها شام وعائلتها بشكلٍ خاص، بين مطرقة الفاقة وسندان النزوح خلال حربٍ ضروس أكلت الأخضر واليابس، لا تدري هي وأمثالها إن كانوا هم من صنعوا ذلك الوجه الكئيب للحياة هناك أم هو من أعاد تصنيع الجميع من جديد.

لكن للأسف، تلك هي الحروب، دائمًا تصنع حياةً جديدة للبشر، مليئة بمخازٍ وأحزان، هم ليسوا فيها ولا لها، لكنهم مجبرُون أن يعيشوها -حتى إن لم يألفوها- شاءوا أم أبوا.

تعدَّدت رماح الموت في الشمال فمن لم تخطفه ويلات الحرب هناك قتلتهُ ضغوطات الحياة وعصرته سنون القهر، ولئن كُتبت له السلامة من هذا وذاك كان له صقيعُ المخيفات وقلة التغذية، ورياح الأوبئة بالمرصاد.

هل تستطيعُ شام أن تكمل المسير في طريقٍ غابت عنها المعالم أم ستقفُ حائرةً منتظرةً لليلٍ آخر قد يكون أحلك مما هي فيه؟

هل يبقى الوطنُ بشكلٍ عام والشمال بشكل خاص هكذا قابعًا مستكينًا أمام سياط الاختلافات وغوائل السنين التي تنهش بأرواح قاطنيه قبل أجسادهم؟

رواية "صابرة اسمها شام" ليست فقط حكاية عائلة سورية صغيرة عانت الأمرَّين داخل الوطن في مواجهة مصاعب الحياة خلال حرب ضروس تسببت في نزوح مُذرٍ زاده البردُ القارص والوباء القاتل مقتًا وكآبة، إنما هي أيضًا قصة كل عائلة سورية

كبيرة أصبحت أشلاء مبعثرة في أرجاء المعمورة لا تعرف للالتئام سبيلًا، حجبتها عن بعضها البعض حدودٌ ملعونة ومسافات مُتعِبَة لكن رغم كل هذا تبقى رغباتُ لقائهم متجددة ما دامت قلوبهم تنبض ودماؤهم تتدفق.

رواية "صابرة اسمها شام" ليست قضية ذاتية، وليست قضية عائلة سورية تعيش في دياجير النزوح أو في وِهادِ اللجوء، إنما هي قضية بحجم وطن.. مسلسلُها دامٍ لم ينته بعد.

المؤلف

قبل الشروق

لم يكن لعبد الله وزوجته أن يخرجا من مسكنهما بذلك الوقت المتأخر من الليل بدون أمر طارئ يحلُّ عليهما، أو على من حولهما من الأهل والأقارب أو الجيران.

أصواتٌ غير مفهومة تتزايد بالشارع، شاب يركض حاملًا مسدسه وفتاةٌ تختبئ هنا وهناك خائفةً مرتعشة من طيش أخيها فأيُّ طلقةٍ طائشة قد تُغير مجرى حياتيهما، فالسلاح كما يقولون بيد المجنون مثيرٌ لرعب خانق وطلقته عمياء.

يخرج عبد الله وتتبعه زوجته إلى الشارع المواجه لمسكنهما حيث يتجمهر عدد غير قليل من الجيران بهدف استطلاع الأمر، فالخطب كبير كما بدا من الأصوات العالية.

بالشارع أناسٌ كثر يتساءلون وكل يدلي بدلوه لإكمال تأليف قصة وتبيان الأمر، أجمع من تواجدوا وقتئذ في الشارع أنها ضنَّت عليه بقليلٍ من النقود علَّها تمنعه من تماديه في تعاطي المخدرات ومخالطة أهل السوء، فصفعها على وجهها وأشهر سلاحه مهددًا إيَّاها بأنها إن لم تدفع له كعادتها سيضربها بالرصاص، فهربت من أمامه مولولةً بأعلى صوتها طالبة النجدة والعون ممن حولها.

لقوة صلة القرابة مع الشاب وأخته تابع عبد الله وزوجته طريقهما في شوارع المدينة الفارغة تمامًا في تلك الساعة المتأخرة من الليل من أيَّة سيارات عابرة وأي حضور بشري؛ بهدف استطلاع أمر الهاربة وإعادتها إلى منزلهما ولملمة الموضوع في نطاقٍ ضيق قبل أن يستفحل الأمر ويصل إلى درجاتٍ لا يمكن الرجوع عنها، ومحاوِلَين أيضًا البحث عن الشاب الطائش وردّه إلى رشده قبل أن يحصل أي مكروه.

بهدأة الليل وحلكته المقيتة -التي بددتها بعض أعمدة الكهرباء المتباعدة وعواء الكلاب- رأى عبد الله قريبه الشاب من بعيد راكضًا بين البنايات، فصاح مُناديًا عليه بأعلى صوته:

- وحّد الله يا رجل!

وقف الشاب ناظرًا بحنق إلى من يصحب عبد الله معه، وصاح:

- أنتِ هنا يا ساقطة!

بحركة سريعة غير متوقعة دسَّ يده في جيبه وأخرج مسدسه وسدَّد نحونا، وصاح بها:

- والله لأقتلكِ.

صاح به عبد الله قائلًا:

- يعني صحيح ما سمعناه من الناس أنك تريد قتل أختك من أجل مصاري، لعنة الله عليك وعلى مسعاك! اصح يا رجل، هل أنت صاح لما تقول وتفعل أو لا ؟! والله فعلتك لا يفعلها إلا مجنون، وثانيًا هذه التي خلفي ليست أختك.. إنها زوجتي، هل تريد قتلها هي أيضًا ؟!

قبل أن يكمل كلامه، خلع عبد الله قميصه وأشهر صدره عاريًا وقال له:

- إن كنت تريد أن تضرب أحدًا اضربني أنا.

حاول عبد الله بذلك دغدغة حس القرابة والغيرة عند الشاب لكن قبل هذا كان الشاب الطائش قد أطلق النار، صرخت حياة صرخة فظيعة وصاحت بأعلى صوتها خائفة، ثم تهاوت على الأرض بذراعٍ متدلٍّ ونزيف حاد في كتفها.

- أصبتني يا وغد!

صاح عبد الله بأعلى ما أعطاه الله من قوة:

- ضربتها يا وغد، ألا لعنة الله عليك وعلى المخدرات، والله إن حصل لها مكروهٌ لن أرضى بدمك..

***

لصوته العالي ونبرته الشديدة، راحت زوجة عبد الله توقظه مخبرة إياه:

- صوتك العالي في آخر الليل قد ملأ الآفاق، اصح يا عبد الله من كابوسك قبل أن يسألنا أحد من الجيران في الشقق المجاورة ماذا حصل عندكم، فهذه المرة الثالثة التي أوقظك فيها هذه الليلة من نومك.

نهضَ عبد الله مذعورًا من سريره، مستعيذًا بالله مما رأى، وتفل عن يساره، تناول قارورة ماء كانت إلى جانبه وعبَّ منها الكثير، وراح يمرر أصابعه على جبينه المحترق من أثر كابوسٍ تزايدت عليه عدد مراته، واشتدت آثاره فأرَّق ليله وأرهق نهاره، وقال محوقلًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

عبَّ من الماء أكثر، ثم تشهد وقال:

- أصبحنا وأصبح الملك لله، اللهم إنا نسألك صباحًا متسعًا كالسماء، صباحًا فيه فرحةٌ تتساقط بها همومنا، صباحًا فيه إشراقات وضحكات لا يمسها شقاء.. اللهم لك الحمد فروحنا إلينا عادت، ونِعمك علينا زادت، صباحٌ أطلَّ وكرمك أظل، فلك الحمد يا الله عدد كل شيء وملء كل شيء.

قالها عبد الله رغم أن عينيه تكادان لا تنفتحان من النعاس، ترك سريره مثقل الرأس منفوش الشعرِ، منتفخ الجفون، محمر العيون، فأيُّ حلم مخيف غشيه فأثقل رأسه بهَمٍ وصداع؟!

- لا شك أنها ضغوطات الأمس.

قالها موقنًا أنَّ مساء الأمس أثقل عليه نومه بعد أن أُدخل أحد أقربائه هنا إلى مشفى الأورام لورمٍ خبيث شخَّصه له الأطباء بعد معاودة نزيفٍ حاد عاناه لأيامٍ مضت، فأمضى معهُ عبد الله طيلة ليلة الأمس ورجع من عنده بعد منتصف الليل، وقريبٌ آخر مستلقٍ هناك في العناية المشددة في مخيمات الشمال السوري بين الحياة والموت جراء مضاعفات عديدة بعد إصابته بفيروس كورونا.

رغم أنه نهض نعِسًا مذعورًا من سريره قبل أذان الفجر بنصف ساعة إلا إنه حرص ألا يعود للنوم قبل أداء صلاة الفجر حرصًا منه على ديمومة إقامتها في جماعة؛ ليكون من أهل الفجر كون أوقاتهم مباركة ووجوههم مشرقة، أليست سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها وقرآنه ودعاؤه مشهودين؟

وفريضته تجعل قائمها في ذمة الله؛ كونه يشارك أهل التقوى في سعيهم إلى المساجد.

توضَّأ وصلى ما مكَّنه الوقت، وجلس يقرأُ سورة الكهف في غرفة الضيوف بينما كَانت بقايا الليل ما تزالُ تُغلف الأجواء وتلف المدينة التي راحت لتوها تخلع عنها مئزر الثبات، ليستيقظ ناسُها بالتتابع كل حسب اهتماماته وطبيعة عمله، رغم أنها عطلةُ نهاية أسبوعٍ لكن كالمعتاد يتنشط في شوارع أي مدينة دبيبُ الحياة حينما تتجلى شاراتُ الشفق في صفحة السماء بخيوطها الأرجوانية.

خرج متوجهًا إلى المسجد القريب بينما كان فجر ديسمبر ما يزال يتفكر في تمزيق رداء ليله الحالك حينمَا تعالت للتَّو صيحاتُ الديكة في الواحة المجاورة، لترسم مَع زقزقة العصافير لحنًا بتولًا زاده طهرًا ونقاءً صوتُ المؤذن في ندائِه الأبدي الجميل "الله أكبر" لتشرق فيه وجُوه المصلين بضياءِ الرضا فرحًا وسرورًا.

***

بعد صلاة الفجر، خرج عبد الله من المسجد يشقُّ دربه مع أوَّل شقشقة للصباح وسار وأسوارُ واحة العين على يمينه في طريقٍ مُقفر مرصوف بالباسكو، كانت نسماتُ أواخر ديسمبر لطيفة فبعثت في أشجار الواحة المتقاربة حركةً صوتية بدا عنها هسيسُ الأغصان، فرفع كمامته عن أنفه وفمه وراح يستنشق الهواء العليل ويمتص ملء رئتيه أنفاس الصباح؛ ليزيحَ عن صدرِه ولو شيئًا من الهمومِ المتلاحقة.

يبقى الصباح أينما حلَّ جميلًا يحملُ معه الخير والراحة لمحبيه، كطفلٍ بريء بدأ للتو حَبوه، كوردةٍ زهية مبللة بقطرات الندى، كساعي بريدٍ يحملُ في جعبته الفرح للجميع.

واصل المسير وجدَّ بالمشي فوجد في الهواء النقي شيئًا من الراحة، فلم يكن أحب إليه يومها من المشي ليريح أعصابه ويُكثر دعاءه قبل أن يعود أدراجه إلى منزله للنوم.

امتلأ قلبه بأنفاس الصباح، وهفت نفسه إلى زيادة خطوات مشيه اليومية، فما أجدره من صباح جميل بدعاء بجد واجتهاد في مناجاة العلي القدير والتقرب إليه بعظيم الدعاء، والتوسل إليه بشفاء أقربائه وكل مريض يرقد في غياهب المجهول!

تابَع برنامجه اليومي بالمشي قرب متحف العين الوطني على أطراف واحة العين القريبة من مكان إقامتهم في مدينة العين، مقررًا إطالة مشوار اليوم أكثر باعتبارِ أنَّ اليوم عطلة وأن اعتدالًا ملموسًا بالطقس قد حصل مؤخرًا مع أواخر ديسمبر الحالي.

***

لعل المقيمين في دول الخليج العربي يعرفون حق المعرفة أن الفترة من بداية شهر نوفمبر حتى آخر شهر مارس تعني أجواءً عليلة ونسمات لطيفة تداعب أرواحهم المثقلة قبل أجسادهم بلا خدش ولا أذية، فبداية نوفمبر من كل عام تعني للجميع بمنطقة الخليج بدء تغيير في دورة الحياة، طال انتظارها وها قد أصبحت رهن التحقيق. فقد قيل إن أجمل أيام الشهور هي تلك الأيام التي تقع بين أول نوفمبر ونهاية مارس لِما تشهده من تغير فصلي يُحسن المزاج، ويرفع الطاقة الإيجابية للبشر، بينما عدا ذلك من شهور السنة فيها قيظ مهلِك لولا رحمة رب العالمين وتوفُّر التكييف بأشكاله المتعددة.

بالحديث عن قيظ الخليج وارتفاع درجات الحرارة فيه لا بُدَّ أن يتبادر لذهن أحدنا سؤالٌ يشوبه شيء من الاستغراب عن عدم السعي الجدي للاستفادة من حرارة الشمس الملتهبة في المنطقة -من بدايات شهر أبريل وحتى نهايات شهر أكتوبر من كل عام- رغم التوجه العالمي للاعتماد على مصادر طاقة بديلة ونظيفة حول العالم لمواجهة تغير المناخ، بالطبع لا يمكن لأحد أن يُنكر في هذا الصدد ظهور بعض الفرص الاستثمارية الناشئة هنا وهناك كمشاريع لتوليد الطاقة من حرارة الشمس لكن للأسف تبقى في مجملها خجولة في العدد، وغير منافسة بالنسبة للنتائج، ولا تصل لحد الاستخدام الأمثل لكميات الطاقة المُستدامة المتوفرة، حتى يَبدو للمُهتم كأنه لم يُنظر إليها بعد ككنزٍ حقيقي آخر لا يقل أبدًا عن كنوز المنطقة من نفطٍ وغاز، ولعل بالحديث عن قيظ الشهور الحارقة تلك يتبادر للمهتم أيضًا سؤال كله دهشة واستغراب عن مدى الجدية في العمل على استقطاب (السُّواح) من مختلف دول العالم الباردة خلال شهور اعتدال المناخ ونقائه في الخليج، بدءًا من أواخر شهر أكتوبر إلى أواخر شهر مارس من كل عام حينما تتحول شمس الخليج الساطعة إلى خجولة متوارية أحيانًا وراء الغيوم.. شمس صديقة للبشر، لا هي تحرمهم من دفئها ولا تغيبُ عنهم فيشعرون بغيابها عنهم ببردٍ قارس كما في أقاليم أخرى مجاورة، وبين هذا وذاك هي في اعتدال، خلال تلك الفترة الأشبه بربيعٍ جلي تشرئب لعين الرائي ملامح قصور أخرى في استغلال تلك الأجواء الساحرة في الخليج التي لم تُستخدم هي أيضًا بشكل استثماري سياحي أمثل يستقطب قاطني البلدان الباردة كسائحين يُدرون على المنطقة دخلًا إضافيًّا آخر، يساند في تطوير المنطقة وخططها الاستراتيجية الهادفة.

رغم تباين المحاولات بين مختلف دول المنطقة للاستفادة من طاقة الشمس في شهور الصيف وأجواء الشتاء الرائعة في الخليج، يبدو للمهتمين بأمور الاقتصاد أنَّ معظم دول المنطقة لم تستخدم صيفها ولا شتاءها بشكل أمثل رغم كل المحاولات الهادفة لذلك، من خلال إقامة مهرجانات تسويقية هادفة لتشجيع سياحتها الداخلية.

***

جاءت أواخر شهر ديسمبر في شتاء أبيض يتنفس بعذوبة ويملأ الأرواح بآمال الخلاص هناك في الشمال، لجمالية الصباح هنا فضَّل عبد الله على غير عادته أن يكون مشيه هذا اليوم وحيدًا دون أصدقاء بنية التفرغ التام للدعاء لله عز شأنه، والتوسل إليه بعظيم قدرته أن يمنَّ على حسين (زوج شام) وجميع مرضى المسلمين بالشفاء من كل داء، وأن يبعد عنهم الوباء، إنه على كل شي قدير، فقد ألمَّت بزوج شام وعكة برد خفيفة لم يُحسب لمثيلاتها أي حساب، واندفعت الوعكة في طريق مهمة النتائج فارتفعت حرارة جسمه واضطربت أنفاسه، واشتدت آلامه فاصفرَّ وجهه ووهن صوته، وتسلَّل إليه الذبول من كل جانبٍ، فلزم مجبرًا الفراش، مستجيبًا لنصح من حوله بالتداوي بالمسكنات وفيتامين سي، والإكثار من تناول الحمضيات.

لسُعاله الشديد وارتفاع حرارة جسده وذبول الرجل يومًا بعد آخر اتصلوا بسيارة الإسعاف التي حضرت بعد منتصف الليل لتحمله على عجل -بين النائم واليقظان- ناظرًا حوله في ذهول ليشاهد طريقًا فارغًا لا يبدو منه إلا امتدادُه الذي يضيعُ في ظلامٍ دامس بعد أمتار وصمتٍ رهيبٍ في أرجاء المخيم، يكسر هيبتهما فقط العواء

وأضواءُ سيارة الإسعاف، أخذته في الطريق كبوةٌ أشبه بغيبوبة للحظات، انتهت بتفتُّح عينيه على أجواء جديدة في غرفة لها جدران وسقف على خلاف باقي الخيم لكنها أبعد ما تكون عن غرفةِ فحص في مشفى فيه للمريض شيءٌ من الاحترام والحقوق.

في الغرفة تلك، لم يألف المريض والمرافقون له يومئذ مكوناتها كشبيهة لغرفة فحص، فألوانها عديدة، لون أبيض يكسو أعالي جدرانها بينما يُلون ذيولها لونٌ أخضر قاتم منظره كئيب اعتلتهُ ألوانٌ أخرى هي أقرب لألوان أطيان المنطقة التي بدورها نفت عن المكان أيَّة معالمٍ للنظافة والتعقيم، وأضواء باهتة تعلو طاولة الفحص، وحولها وجوه بدون كمامات وأياد بدون قفازات وأشخاص بمرايل بيضاء، وآخرون بملابس أخرى متعددة الألوان والموديلات.

غرفة المعاينة الأولية تلك مستطيلة الشكل، ينتهي أحد أطرافها بنافذة علوية تطلُّ على الشارع العام أمَام المُخيم، أمَّا نافذة الطرف الآخر تطلُّ على بحرٍ رؤوم من الخيام المنصوبة للنازحين، بالإضافة لحسين (زوج شام) ومرافقيه كان هناك في الغرفة المعاينة عددٌ كبيرٌ من المرضى القادمين للمشفى ومرافقيهم لطلب الفحص العاجل لوعكات صحية أرقت يومهم، من الموجُودين كان هناك طفلٌ لم يتجاوز العشر سنين متمددٌ تحت النافذة العلوية التي تطلُّ على الشارع العام، كان هامدًا طوال الوقت بوجهٍ شاحب، وشفتين زرقاوين داكنتين، وعينين مغمضتين، ثياب رثة، وسروال ممزق فبدا للناظرين إليه تهشُّمًا جزئيًّا في عظام ساقه اليمنى، تفتت لحمه حتى الفخذ لنزيف حاد إثر لغم أرضي انفجر به وأقرانه الأطفال الذين اعتادوا على تمشيط المنطقة مراتٍ عدة في الصباح والمساء من كل يوم بحثًا عن

نفايات بلاستيكية ومعدنية؛ لمساعدة والديهم في سد بعضٍ من لهيب الحاجة، بينما بالماضي لم تكن لتأذن لهم أمهاتهم بالخروج من منازلهم قبل كي ثيابهم وتحميمهم في الصباح بالصابون والمياه الساخنة.

المكان الحجري ذاك برمته أشبه بمستوصف بطابق أرضي وحيد، تأسس على أنه مركز لتقديم المعاينات الأولية لكن لقلة مقدمي الخدمات الصحية وندرة توفر الدواء وغلائه الفاحش اعتبره النازحون (كالحلاق أيام الستينات من القرن الماضي، يزين ويداوي بل ويصنع الأدوية أيضًا.) مشفىً باختصاصات، يُقدم خدمات علاجية متنوعة لخمس مخيمات بالمنطقة وكل قادم إليه، استطالت أركانها وامتدت أوصالها حتى اتسع كلٌّ منها إلى ألفي خيمة، ابتعدت كل خيمة عن جارتها بخمسة أمتار من الأمام ومثلها من الخلف والجوانب بهدف تجنُّب أي حريق ومراعاة للخصوصية.

وزِعَت الخيم بعشوائية على أي عائلة طلبت وحضرت وواظبت على التواجد في مقر النزوح، صُممت الخيمة الواحدة بمساحة (4*4م) أصلًا لتكون مناسبة فقط لفردين لكنها نُصبت في الشمال وسُلمت فعلًا لعوائل زاد أفرادها على السبعة، فاكتظ المكان بهم وزادت الحاجة لخيم الخدمات وخزانات المياه في مكان تغيب عنه أبسط الخدمات الأساسية كصرفٍ صحي وطرقٍ مرصوفة وشبكات مياه وكهرباء وهاتف، باستثناء ذلك المشفى أو المستوصف الذي يتباهى ببنائه الحجري وسقفه الخرساني وسط بحر من الخيام وكرومٍ من الزيتون في أقصى الشمال الغربي السوري.

في غرفة الفحص تلك، كان الجو خانقًا للمريض الذي بدت جليًّا لمن حوله معاناته من لهاثٍ شديد لصعوبة في تنفسه رغم نحالة جسمه ودون أي جهد مبذول.

- رئتا المريض على ما يبدو تختزنان الشيء الكثير من سموم التدخين والمفاجآت.

دُهش الطبيب المناوب وقال ذلك عندما سمع تكرار وشدة سعال المريض، وطلب إجراء صورة أشعة صدرية له، وتساءل:

- منذ متى يُدخن الرجل؟

فأجابه أخوه الكبير (الحاج حسن) على الفور:

- منذ أربعين عامًا.

تمتم الطبيب بكلمات غير مفهومة لمن حوله، فسأله أحد الرجال المرافقين:

- هل قلت شيئًا يا دكتور؟

نفى الطبيب ذلك وقال:

- بعدين.. بعدين.

ثم ذهب لمعاينة مريض آخر، وما هي إلا لحظات قليلة حتى جاء الممرض بصورة الأشعة، فرجع الطبيب إلى حيث يرقد زوج شام بغرفة العناية ودقق بالصورة واكتفى بتحويل المريض فورًا إلى غرفة العناية المشددة لمراقبة حالته، ثم خرج من غرفة الكشف الأوَّلي فتبعه الحاج حسن ونادى عليه برواق المشفى:

- من فضلك يا دكتور عمر، أنت بعمر ولدي، أخبرني عن حالة أخي بصراحة..

- للأسف حالة الرئتين تعبانة جدًّا.

- هل هذا كله من الكورونا؟

- لا أعتقد فقط...

- أتقصد شيئًا آخر أيضًا؟!

- نعم، أظن أن التدخين قد أنهك جسده وأفسد جهازه التنفسي.

- ماذا تقول؟! هل حالته ميؤوس منها؟

- لم أقل هذا بالضبط، ولكن..

- ولكن ماذا؟ طلبت منك أن تخبرني بكل صراحة.

- الصراحة إن كثرة وشدة سعال أخيك يا حاج أدهشتني، واستبعدت أن يكون كل هذا سببه الكورونا لكن عندما أخبرتني أنه مدخن مزمن وشاهدت صورة الأشعة الصدرية.. توصلت للتشخيص المنطقي للحالة.

- ماذا تعني؟ هل الدخان سببٌ مساعدٌ في كل هذا؟

- لا، بل إنه سبب رئيس في كل هذا.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- تصور يا عم أنَّ مدخنة فرن أو معمل تعمل على مدار العام ولمدة أربعين عامًا، كيف سيكون حالها من الداخل إن لم يتم تنظيفها بشكل مستمر ؟!

- أكيد سيتآكل داخلها وتضيق قنواتها، وتكاد تكون قريبة إلى الانسداد.

- تصور.. هذا ما كان سيحصل للحجر و المعدن، فما بالك بجسم الإنسان ؟!

آه..لو يعلم المدخنون ماذا يحرقون بسجائرِهم، إنهم يحرقون أجسادهم قبل جيوبهم، ويصفون السيجارة بمسميات أقنعوا أنفسهم فيها.. متعة ونسيان للواقع و و و.. وكلام من هذا الهراء. ألا لعنة الله على متعة تهلك صاحبها ومن لازمه!

- رجاءً يا ابني يا دكتور عمر اعملوا أي شيء ترونه يساعد على تحسين حالته.

- بالطبع سنعمل على هذا إن شاء الله رغم الإمكانيات البسيطة عندنا.

- أشكرك مقدمًا يا دكتور.

- هل تعلم يا حاج أنَّ التدخين يقضي على حياة أكثر من 6 مليون شخص سنويًّا على الأقل؛ لذا فهو أكبر سبب للموت يمكن الوقاية منه على مستوى العالم.

- نعم، سمعت مثل هذا مرة بالراديو.